غير مرخصة للطباعة

المحور السابـع

فقه الأُمَّة ودعوتها وصحوتها وحركتها الإسلاميَّة

١١٨

جيل النصر المنشود

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة تجريبية

غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٧١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يد الله مع الجماعة**». رواه الترمذي.

عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يَشُدُّ بعضه بعضًا**» ثم شَبَّكَ بين أصابعه. متفق عليه.

عن معاوية قال: سمعت النبيَّ ﷺ، يقول: «**لا يزال من أمتي أُمَّةٌ قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك**» متفق عليه.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

٧

بسم الله الرحمن الرحيم

غير مرخصة للطباعة

قال صاحبي والحَيْرَةُ تطويه وتنشره، والهمُّ يُقِيمه ويُقْعِده، بعدما رأى مجازر بيروت، ومذابح صبرا وشاتيلا، يُراق فيها الدم الإسلامي بلا حساب، وتُذبح فيها النساء والأطفال والشيوخ بلا خوفٍ ولا حياء، وتُهدم البيوت، وتُدمَّر المخيمات على أهلها العُزل بلا مبالاة، والعرب خاصَّة ـ والمسلمون عامَّة ـ في مشرقهم ومغربهم عاجزون عجز الموتى، والعالَم المتحضِّر يتفرج على المأساة ولا يُحرِّك ساكنًا، ولا يُسكِّن متحركًا: أما رأيت؟! أما سمعت؟!

قلتُ: بلى، رأيتُ وسمعتُ، وعشتُ المأساة بقلب يتفطَّر وأعصاب تحترق، لِمَا رأيت من تخاذُل العرب وعجز المسلمين! وقبل ذلك غُزِيَتْ بلاد إسلاميَّة في عُقْر دارها، ودُمِّرت مدن إسلاميَّة عريقة على أهلها، وهُدمت مساجدها، وقُتِل الراكعون الساجدون فيها، وانتُهِكت أعراض المحصنات المؤمنات، ولم نسمع ولم نر للعرب والمسلمين كلمةً أو موقفًا فيه إنكار على الطغاة، أو نجدة للمستضعفين، إنَّما هو صمت القبور الموحشة في الليل البهيم!

فإذا سمعت لهم صوتًا جهيرًا ففي شتم بعضهم بعضًا، وإذا رأيتهم يومًا يتحرَّكون بحماسٍ وقوَّة، ففي قتال بعضهم بعضًا! كأنَّما أرادوا أن

QaradawiBooks.com

يكونوا على النقيض من أصحاب رسولهم الكريم، الَّذين كانوا ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ليكونوا هم أشداء على أنفسهم، رحماء بعدوِّهم، أعزَّة على المؤمنين، أذلَّة للكافرين! وكأنَّما أعجبهم من صفات اليهود ما وصفهم الله به من قبل: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

قال صاحبي: ولكنْ أَمَا لهذا الظلام من آخِر؟ أما لهذا الليل من فجر؟ أما آن لهذه الأُمَّة أنْ تعرف غايتها، وتهتدي إلى طريقها؟ أما آن لها أن تجمع كلمتها، لتقتل عدوَّها، بدل أنْ يضرب بعضها رقابَ بعض؟ أما آن أن تذكِّر نفسها بعد أن نَسِيَتْ نفسها؟ أما آن لها أنْ تغسل ذلَّ الانكسار بعزِّ الانتصار؟ أما آن لها أنْ تمحو أيام الهزائم والنكسات السود بيوم أبيض، كيَوْمِ خالدٍ في اليرموك، أو سعدٍ في القادسيَّة، أو عمرٍو في أَجْنَادِينَ، أو طارقٍ في الأندلس، أو صلاح الدِّين في حِطِّينَ، أو قُطُزَ في عَيْن جَالُوتَ، أو محمَّد الفاتح في القُسْطَنْطِينِيَّة؟

قلت له: لا تَيْئَس يا صاحبي؛ فسُنَّة الله أنْ يُعْقِبَ الليلَ الغاسقَ بفَجْرٍ صادق، وأشدُّ ساعات الليل حُلكةً وسوادًا هي السُّوَيْعات الَّتي تسبق بُزوغَ الفجر، ولكنَّ لله في خلقه قوانينَ صارمةً لا تُحابي، وسُننًا ثابتة لا تتبدَّل، ولا بدَّ لنا أنْ نَعِيَها، ونتعاملَ على بصيرة معها، ونُرَكِّز هنا على أَمْرَيْن أساسيَيْن:

رُوح أُمَّتنا الإسلام:

أَوَّلًا: إنَّ للأمم روحًا، تحيا به، كما للفرد روح، فإذا فقدت الأُمَّة رُوحها أصبحت أفرادًا بغير رباط، أو بناءً بغير أساس، كما أنَّ الفرد إذا

فقد رُوحه أصبح جثَّة بلا حيـاة. وصدِّقني يا صاحبي إنَّ أُمَّتنا تعيش في زماننا بغير رُوحٍ، أو يراد لها أنْ تعيش بغير روح!

قد تقول لي: ما رُوح أُمَّتنا! ومَنْ ذا يريد لها أنْ تعيش بغير رُوح؟

وأقول بـكلِّ صراحة: رُوح أُمَّتِنا هو الإسـلام، هـو الَّذي أحياها بالأمس من مَوَات، وجمعها من شـتات، وهداها من ضلالة، وعلَّمها من جهالـة، وأخرجها مـن الظلمات إلـى النور، وجعلها خيـرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ للنَّاس.

الإسلام هو الَّذي أنشأ من عُبَّاد الصنم ورعاةِ الغنم رعاةَ الأمم وهداة الظُّلَـم، هو الَّذي نشـر هذه الأُمَّـة بين المشـرق والمغرب والشـمال والجنـوب، يُعلِّمون الكتـاب والحكمة، وينشـرون العـدل والرحمة، ويجمعون النَّاس تحت راية العلم والإيمان، ويُخرجون الناس من عبادة العباد إلى عبـادة الله وحده، ومن ضيـق الدنيا إلى سَـعَتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام[1].

الإسلام هو الَّذي أبقى على الأُمَّة في عصور الضعف، حرَّكها لصدِّ الغزو، واستثار قواها ووحدتها لمقاومة الزحف التتري القادم من الشرق، والزحف الصليبيِّ القادم من الغرب. وهو الَّـذي كان وراء نصرها على الصليبيِّين في حِطِّين، وعلى التتار في عَيْن جالوت، وهو القادر على أنْ يعيد إليها اليـوم حَيَوِيَّتها، ويُوحِّد باسـم الله كلمتهـا، ويفجِّر بالإيمان طاقاتها، فمـن أراد لهذه الأُمَّة أنْ تعيش بغير الإسـلام، فقد أراد لها أن تحيا بلا رُوح، وأن تكون غُثَاءً كغُثَاء السَّيْل.

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

وأمَّا الَّذين يريدون لها أنْ تعيشَ بغير رُوح، فهُم أعداؤها، الحاقدون عليها، والخائفــون منها، والطامعــون فيها، جمعتهم ـ علــى تَفَرُّقهم ـ الأحقادُ والمخــاوف والأطماع، ليكيدوا لها كيــدًا، ويمكروا بها مكرًا، ما بين يهوديٍّ فاجر، وصليبيٍّ ماكر، وشيوعيٍّ كافر، وبين عميلٍ لهذا أو ذاك، يعملون سافرين حينًا، ومقنَّعين أحيانًا.

بعض مشكلاتنا الكبرى:

ومشكلة المشكلات: أنَّ جمهرة الأُمَّة مخدَّرة ذاهلة عن نفسها، غافلة عن حقيقة رسالتها، وهي مُبَرِّر وجودها وبقائها. فهي لا تعرف عدوها من صديقها، ولا تبصر ما يُحَاك لها من مؤامرات في الظلام، وما يُدَسُّ لها من ســمومٍ في الدَّسَــم والحلوى، وما يُوجَّه إليها من معاول الهدم في صور برَّاقة، وتحت عناوين خداعة، فهي تســمِّي الكفر حرية، والفجور فنًّا، والانحلال تقدُّمًا، وتحسب الورم شحمًا، والسَّراب ماءً!

ومشــكلة ـ بل مشــكلات أخرى ـ تعانيها أُمَّتُنا، هــي الفجوة الَّتي نُحِسُّها ونلمسها بين المسلمين بعضهم بعضًا، نتيجةً للعصبيَّات القوميَّة أو الإقليميَّة أو اللغويَّة، وللمذاهب المستوردة الَّتي اتَّبعت سُبُلَها الأنظمةُ المختلفة، فتفرَّقت بهم عن صراط الله، وللأنانيَّــات الحاكمة الَّتي تُؤْثِر الهوى على الحــقِّ، والمغنمَ العاجلَ على رضــوانِ الله تعالى، والمنفعة الشخصيَّة أو المحلِّيَّة على مصلحة الأُمَّة الكبرى.

ثم هناك الفجوة الَّتي نشعر بها داخل كلِّ بلدٍ بينَ الحُكَّام والشعوب؛ فالشــعوب بفطرتها وتاريخها وواقعها مع الإســلام، والحُــكَّام بحُكْم نشأتهم وتربيتهم ومصالحهم وولاءاتهم مرتبطون بالمعسكرات المعادية للإســلام؛ فهم لهذا ـ إن لم يكرهوا الإسلام ـ يخشــون من حكمه أن

QaradawiBooks.com

يعــود، ويخافون من تعاليمه أن تســود وتقــود. وبهذا يبقــون في وادٍ، وشعوبهم في وادٍ آخر، كأنَّهما خطَّان متوازيان لا يلتقيان!

ثم تأتي الفجوة الأخرى بين النخبة المتعلِّمة والجماهير؛ فالجماهير في جملتها دينيَّة التفكير، دينيَّة المشاعر، دينيَّة السلوك. أمَّا النُّخْبة ـ أعني أكثرها لا جميعها ـ فقد غزاها الاســتعمار الثقافي وعزلها عن قاعدتها، وحشا رؤوســها بمفاهيم خاطئة عن الإسلام وشــريعته وتاريخه وأُمَّته، فغدت تؤمن بالعِلمانيَّة «اللادينيَّة» فكرةً ومنهاجًــا، وتعتبر الدِّين مجرَّد علاقــة بين المرء وربِّه، فلا يســمح لــه أنْ يقودَ الحيــاةَ أو يتدخَّل في المجتمع بالتشــريع أو التوجيه أو التنفيذ. فإن سُــمِحَ له بموقعٍ فحَسْبه المســجدُ للصلاةِ أو للموعظة، وحسْــبُه حِصَّــة الدِّين في المدرســة، والحديث الديني في الإذاعة أو التليفزيون، والعمود الديني في الصحيفة. وهم بذلــك مُتَبَرِّعون له مُتَفَضِّلــون عليه! أما أنْ يُتَّخذ الإســلام نظامًا للحياة، أو دستورًا للدولة، فلا، وألف لا!

قوانين النصر:

إنَّ النصر لا يأتي عفوًا، ولا ينزل اعتباطًا، ولا يخبط خَبْط عشواء.

إنَّ للنصر قوانين وسُننًا ســجَّلها الله في كتابه الكريم، ليعرفها عباده المؤمنون ويتعاملوا معها على بصيرة.

أول هذه القوانين: النصر من عند الله تعالى:

إنَّ النصر مــن عند الله تعالى، فمَنْ نصره الله فلــن يُغلب أبدًا، ولو اجتمع عليه مَنْ بأقطارهــا، ومَنْ خذله فلن يُنصر أبــدًا، ولو كان معه العَدد والعُدَّة.

QaradawiBooks.com

وهـذا ما نطقت به آيـات القـرآن واضحـة بلا غمـوض، قاطعة بلا احتمـال: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩، ١٠].

قد ينصـر الله القلَّة علـى الكثرة كما نصر أصحـاب طالوت ـ على قِلَّتهم ـ على جند جالوت مع كثرتهم، رغم أنَّ في أصحاب طالوت من قال حين رأى كثافة العَدد، وقوَّة العُدَد في جيش جالوت: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقد يَنْصر مَـنْ ليس معه جيشٌ ولا سـلاحٌ قطُّ، كما نصر رسـولَه محمدًا ﷺ يوم الغـار: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

القانون الثاني: الله لا ينصرُ إلَّا مَنْ نصره:

إنَّ الله لا ينصر إلَّا مَـنْ نصره، فمَنْ نصر الله نصـره الله، قانون جاء بصيغـة الشـرط والجـزاء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

QaradawiBooks.com

وجاء في صورة الخبر الثابت المؤكَّد بلام القسم ونون التوكيد: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

إنَّما تتحقَّق النُّصرة لله تعالى بنُصرة دِينه، وإعلاء كلمته، وتحكيم شرعه في خلقه، وبهذا جاء في وصف مَنْ ينصرون الله تعالى عقب الآية السابقة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

وقد يُعبِّر القرآن عن نصر الله تعالى بالإيمان، أو الجندية لله تعالى، فمن آمن بالله حقَّ الإيمان فقد نصر الله تعالى، وغدا جنديًّا في جيشه. وفي هذا يقول سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. ويقول: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

القانون الثالث: النصر لا يكون إلَّا بالمؤمنين:

إنَّ النصر ـ كما لا يكون إلَّا للمؤمنين ـ لا يكون إلَّا بالمؤمنين، فالنصر لهم، والنصر بهم، فهم غاية النصر، وعُدَّته، وفي هذا يخاطب الله رسوله الكريم بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

قد ينصر الله مَنْ يريد نصره بالملائكة ينزلهم من السماء إلى الأرض، كما في غزوة بدرٍ والخندق وحُنَيْن: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢].

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [التوبة: ٢٦].

QaradawiBooks.com

وقد ينصر الله من يريد نصره بالظواهر الطبيعية يُسخِّرها في خدمته، أو يُسلِّطها على عدُوِّه، كما سَلَّط الريح على المشركين في الخندق: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ [الأحزاب: ٩، فصلت: ١٦]، وكما أنزل المطر رحمةً على المسلمين في بدر: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

وقد ينصر الله مَنْ يريد نصره بأيدي أعدائه وأعداء الله أنفسهم، بما يقذف في قلوبهم من رعب يُدَمِّر معنوياتهم، ويقتل شخصياتهم، كما حدث ليهود بني النضير: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

ولكنَّ أدوات النصر هذه كلَّها تتوقَّف على وجود «المؤمنين».

فالملائكة الَّتي نزلت في بدرٍ لم تنزل على فراغ، بل قال الله لهم: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢].

وفي غزوة الأحزاب أرسل الله رِيحَه وجنوده حين ﴿ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١].

وفي غزوة حُنَيْن: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

وفي غزوة بني النضير كانوا: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢].

QaradawiBooks.com

حاجة الإيمان إلى رعاية وحضانة:

وإذا كان النصر لا يكون إلَّا للمؤمنين وبالمؤمنين، فإنَّ هؤلاء المؤمنين لا يهبطون من السماء، ولكنَّهم يَنْبُتون من الأرض.

وهم ليسوا نَبْتًا بَرِّيًّا، يخرج بلا بَذْر، وينمو بلا جهة، ويثمر بلا رعاية، بل هو نبت يحتاج إلى زُرَّاع صادقين صابرين، يتعهَّدونه في مراحل نمائه بالسَّقْي والتسميد ومقاومة الآفات، حتَّى يستوي على سُوقِه، ويُؤتي أُكُله بإذن ربِّه.

ولا غرْو أن صوَّر الله سبحانه جيل الإسلام الأوَّل من أصحاب رسوله الكريم بهذه الصورة البيانيَّة الناطقة: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

أكبر همِّ المُصلحين الإسلاميِّين:

لهذا كان أكبر هم المصلحين الإسلاميِّين الواعين أن ينشأ في الأُمَّة جيل مسلمٌ مؤمنٌ جديدٌ يستحقُّ أنْ يُسمَّى «جيل النصر»، هو أوَّل ما تحتاج إليه أُمَّتنا.

جيل يعود بالإسلام إلى ينابيعه الصافية، ويفهمه فهمًا صحيحًا متكاملًا، خالصًا من الحشو والشوائب، فليس هو إسلامَ عصورِ التخلُّف، الَّذي كدَّرت عقائدَه الخرافاتُ وأفسدت عباداتِه البِدعُ، وغلبت على أخلاقِه السلبيَّةُ، وطغى على فقهه الجمود والتقليد والعصبيَّة المذهبيَّة. إنَّما هو الإسلام الأوَّل، الَّذي نزل به القرآن العظيم، ودعا إليه الرسول الكريم، وآمن به أصحابُه الأطهار، وحكم به خلفاؤه الراشدون، وقامت على أساسه حضارةٌ شامخةُ الذُّرا، مُوثَقَةُ

QaradawiBooks.com

العُرَا، وصلت الأرضَ بالسماء، وقادت الدُّنْيا بالدِّين، وجمعت بين العلم واليقين.

إنَّه إسلام الحقِّ والقُوَّة، إسلام العلم والعمل، إسلام الجهاد والاجتهاد، إسلام الشمول والتوازن.

إنَّه الإسلام الَّذي يؤكِّد الكرامة للفرد، والترابط في الأسرة، والتكافل في المجتمع، والشورى في الحُكْم، والتنمية للإنتاج، والعدالة في التوزيع، والحقوق للجميع.

إنَّه الإسلام الَّذي يجعل حياة الفرد كلَّها لله، فلا ازدواجَ ولا صراع، فقد اتَّحدت غايته، وتحدَّدت وجهتُه، واتَّضح طريقُه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. ويجعل حياةَ المجتمعِ كلَّها لله، فلا يقبل قِسْمتها بين سُلْطتَيْن مُتَنَازِعَتَيْن: قسمٌ لقَيْصَرَ يُسَمَّى «الدولة»، وقسم لله يُسَمَّى «الدِّين»، فإنَّ قيصرَ وما لقيصرَ لله الواحد الأحد.

الإسلام الَّذي يدعو إلى العدل ولو كان لصالح أعدى معاديه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٨]، وينهى عن الاعتداء ولو كان على أشدِّ شانِئِيه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٢].

الإسلام الَّذي يقاوم إلحاد الشيوعيَّة، كما يُقاوم طغيانَ الرأسماليَّة، ويرفض صراع الطبقات، كما يرفض تظالم الطوائف ويدعو إلى التديُّن الَّذي يُنْبِتُ الحُبَّ، لا إلى الطائفيَّة الَّتي تَنْفُثُ الحِقْدَ.

الإسلام الَّذي يقاوم ظلم الحكَّام، وحكم الظُّلَّام. الَّذي يقول للحاكم: لا تظلمْ. ويقول للشعب: لا تخنعْ. ويعلِّم المسلمَ أن يقول في دعائه:

QaradawiBooks.com

«اللهمَّ نشكرُكَ ولا نكفُرُكَ، ونَخْلَعُ ونترك من يَفْجُرُك»[١]، إذ يجعل أفضلَ الجهاد كلمة حقٍّ عندَ سلطانٍ جائر[٢].

الإسلام الَّذي ينتصر للضعفاء حتَّى يأخذوا حقَّهم من الأقوياء، ويقاتل الأغنياء إذا امتنعوا من أداء حقِّ الله المعلومِ للفقراء.

ويُحَرِّض أبناءه على أن يقاتلوا ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ [النساء: ٧٥].

هذا هو الإسلام كما يفهمه هذا الجيل المنشود، وكما يؤمن به، وكما يدعو إليه. وبه أبصر عقله واستنار قلبه. بهُدَاه يُبْصر الهدف، ويُبْصر الطريق، يعرف نفسه، ويعرف ربَّه، يعرف دِينَه، ويعرف دُنْياه، يعرف تُرَاثه، ويعرف عَصْرَه، يعرف صَدِيقَه، ويعرف عَدُوَّه، ويعرف من يُنِير له الطريق، ومن يريد أنْ يُضَلِّله عن الهدف، وأن يَلْوِيَ زِمَامَه عن سواء السبيل.

جيل من المسلمين والمسلمات:

جيلٌ من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات؛ فالنساء في الإسلامِ شقائقُ الرجال[٣]، والمرأة تُكمِّل الرجلَ ويُكمِّلها: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

---

(١) رواه عبد الرزاق (٤٩٦٨)، وابن أبي شيبة (٧١٠٠)، والبيهقي (٢١٠/٢)، ثلاثتهم في الصلاة، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٤٢٥)، عن عمر موقوفًا.

(٢) رواه أحمد (١٨٨٢٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في البيعة (٤٢٠٩)، عن طارق بن شهاب.

(٣) إشارة إلى حديث: «إنَّما النساء شقائق الرجال». رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن لغيره. وأبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، كلاهما في الطهارة، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

والمرأةُ شـــريكةُ الرَّجُل منذ قال الله لآدم: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وهي مُكَلَّفةٌ مثله منذ قال لهما: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وهي مجزِيَّة على عملها مثله: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وقد كان للمرأة نصيبها البارز في نُصرة الإســـلام، وتبليغ دعوته، والتمكين له في الأرض، حين بعث الله رســـوله بالهدى ودِينِ الحقِّ، وهل ينســـى التاريخ موقف خديجة بنت خُوَيْلد فـــي فجر الدعوة[١]، وموقف سُـــمَيَّة أُمِّ عَمَّار أوَّلِ شـــهيدةٍ وزوجة أوَّل شـــهيدٍ صبر على العذاب حتَّـــى الموت من أجل الإســـلام[٢]؟ أو موقف أســـماء ذات النِّطَاقَيْن يومَ الهِجْـــرة[٣]؟ أو موقف أم عُمَارة نُسَـــيْبة يوم أحد[٤]؟ أو موقف أُمِّ سُـــلَيْم يوم حُنَيْن[٥]؟ أو مواقف أمَّهـــات المؤمنين في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته؟

كانت المرأة المسلمة هي الأمَّ الَّتي تُحرِّض أبناءها على الاستشهاد[٦]،

(١) كما في حديث بَدْءِ الوحي، حينما قالت لرســـولِ الله ﷺ: «واللهِ ما يُخْزِيك اللهُ أبدًا». متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

(٢) رواه أبو نُعَيم في معرفة الصحابة (٧٦٨٩).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٧٢/٣ ـ ١٧٣)، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (٤١٥/٨)، وفيه: «لمقام نُسَيْبة بنت كعب اليومَ خيرٌ من مقام فلانٍ وفلانٍ».

(٥) عن أنس، أنَّ أمَّ سُلَيْم اتَّخذت يوم حُنَين خنجرًا، فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر. فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا الخنجر؟» قالت: اتَّخذته إنْ دنا مِنِّي أحد من المشركين، بقرت به بطنَه. رواه مسلم في الجهاد والسير (١٨٠٩).

(٦) من أمثال الخنساء التي قدَّمت بنيها الأربعة في معركة القادسية تحرِّضهم، وتوصيهم بالإقدام =

QaradawiBooks.com

والزوجة الَّتي تدفع زوجها إلى التضحية والبذل، والمؤمنة الَّتي تُسْهم بنفسها وجهدها في سبيل الله، والعالمة الَّتي تحفظ القرآن وتروي الحديث، وتتفقَّه في الدِّين. تدعو إلى الله على بصيرة، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتُخطِّئ أميرَ المؤمنين على المنبر(١)، فهي عضوٌ حيٌّ في جسم المجتمع الَّذي وصفه الله بقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

فلا عجب أنْ يكون لها اليوم ـ كما كان لها بالأمس ـ دورٌ في دعوة الإسلام، ومكان في حركة التجديد. تعمل فيه مزكِّية لنفسها، وداعيةً لبنات جنسها، وهنَّ نصف المجتمع أو أكثر، أو مُعِينَةً لزوجها على الدعوة إلى الله، أو مُلْهِمة ودافعة لأبنائها وبناتها على عمل الخير وخير العمل.

سمات هذا الجيل في القرآن والسُّنَّة:

جيل لا تخفى سماتُهم وأوصافهم على مَنْ قرأ القرآن الكريم، أو درس السُّنَّة النبويَّة.

= والثبات في كلمات بليغة رائعة، وما إن انتهت المعركة حتى نُعُوا إليها جميعًا، فما ولولت ولا صاحت، بل قالت في رضًا ويقين: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم في سبيله.
انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٨٢٧/٤ ـ ١٨٢٩)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، والإصابة لابن حجر (١٠٩/٨ ـ ١١٢)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(١) مثل المرأة التي ردت على عمر بن الخطاب في مسألة مهور النساء.
روى هذه القصة عبد الرزاق في النكاح (١٠٤٢٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٥٠٦)، والبيهقي في الصداق (٢٣٣/٧)، وقال منقطع. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٥٠٢): رواه أبو يعلى في الكبير وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف وقد وثق. وذكره البوصيري في الإتحاف (٣٢٧٦)، بسند أبي يعلى، وجوَّد إسناده ابن كثير في تفسيره (٢٤٤/٢)، والسخاوي في المقاصد (٨١٤).

QaradawiBooks.com

مَنْ قرأ كتاب الله تعالى وجدهم في كثيرٍ من سوره وآياته.

وجدهم في سورة الأعراف، حين يتلو قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١]. فالحقُّ غايتُهم، والحقُّ منهاجُهم، والحقُّ مرجعُهم، إليه يدعون، وبنوره يهدون، وبحكمه يعدلون.

وفي سورة المائدة حيث بشَّر الله بهم المؤمنين، وأنذر بهم المرتدِّين، وادَّخرهم في آخر الزمان لمقاومة الرِّدَّة وتثبيت الإيمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

فهذه سماتهم وملامحهم، إنَّهم مع الله بالمحبَّة، ومع المؤمنين بالرحمة المعبَّر عنها بالذِّلَّة، ومع الكافرين بالشدَّة المعبَّر عنها بالعزَّة، ومع الحقِّ بالجهاد المبرَّأ من الغايات؛ لأنَّه جهاد في سبيل الله، ومع النَّاس جميعًا بالنصح الَّذي لا يخشى في الله لومَ اللائمين.

وفي سورة التوبة نستبينُ المعالمَ المميِّزة لشخصيتهم وسيرتهم وأخلاقهم، عن شخصيَّة أهل النفاق وسيرتهم وأخلاقهم، فإذا كان المنافقون متشابهين في الولاء للباطل: ﴿ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي البذل في سبيل الحقِّ، فهؤلاء كما وصف الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

نجدهم في أوائل سورة البقرة حيث ذكر الله صفات المتَّقين، المهتدين بكتابه المُبين، وفي أواسطها حيث وصف أهل البرِّ

QaradawiBooks.com

الحقيقي لا الشكلي: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي مطالع سورة «المؤمنون» حيث وصف الله ورثة الفردوس، وفي خواتيم سورة «الفرقان» حيث وصف عباد الرحمٰن، وفي أواسط سورة «الرعد» حيث وصف أولي الألباب: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ٢٠]، وفي آواخر سورة «الحجرات» حيث ردَّ على الأعراب الَّذين توهَّموا الإيمان دَعْوى بلا عمل ولا عطاء: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

بل مَنْ فتح المصحف وقرأ سورة الفاتحة برزت له ملامحهم، حيث يراهم يرتقون مدارج السالكين ومنازل السائرين، إلى مقامات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فهم أهل التوحيد حقًّا، أهل العبادة لله وحده، والاستعانة به وحده، لا يعبدون غيره، ولا يستعينون بأحدٍ سواه، عليه يتوكَّلون، وإليه يُنِيبون.

أعظم ما يتطلَّعون إليه، ويسألون الله إيَّاه: أن يهديَهم «صراطه المستقيم» صراط الَّذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، بعيدًا عن طريق المغضوب عليهم، وطريق الضالِّين، فهو صراط متميِّز من سبيل هؤلاء وهؤلاء، وهم باهتدائهم «الصراط المستقيم»، قد وجب عليهم مخالفة أهل الجحيم.

ومَنْ طالع السُّنَّة المطهَّرة وقرأ الأحاديث الشريفة رآهم بعين قلبه رؤية لا غبش فيها، وعرفهم معرفة مفصَّلة، كأنَّ النبيَّ ﷺ رآهم من وراء الغيب، فحدَّث عنهم، ونوَّه بهم، وبشَّر بظهورهم.

QaradawiBooks.com

رأى فيهم «الفرقة الناجية» بين الهالكين من الفرق الثلاث والسبعين[١]، لا تتجارى بهم الأهواءُ كما يتجارى الكلبُ بصاحبه، ولا يَمرُقون من الدِّين كما يَمْرُق السهمُ من الرَّمِيَّة، بل يكونون على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

ورأى فيهم «الخَلَفَ العُدُول»[٢] الَّذين يحملون ميراث النبوَّة حمل الدعاة الوُعاة، ويحافظون عليه محافظة الأُمناء الرُّعاة، لا كالَّذين: ﴿حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]، ولا كالَّذي آتاه اللهُ آياتِه فانسلخ منها[٣]، يبقون على هذا الميراث أصالته ونَصَاعته وتوازنه وشموله، وينفُون عنه تحريف الغالين، وانتحال المُبْطلين، وتأويل الجاهلين.

رأى فيهم «إخوان رسول الله» في الآخِرين، حيث كان أصحابه في الأوَّلين، اشتاق إليهم قبل أنْ يوجدوا، وتمنَّى أن يراهم قبل أن يُولدوا،

---

(١) كما في الحديث الذي رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٤١)، وقال: مُفَسَّر غريب. عن عبد الله بن عمرو. وانظر تخريج الحديث والكلام عليه في كتابنا: الصحوة بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم صـ ٣٤ ـ ٣٨، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٢) إشارة إلى حديث: «يحمل هذا العلم من كلِّ خَلَفٍ عُدُولُه». رواه ابن وضاح في البدع (١)، والبيهقي في الشهادات (٢٠٩/١٠)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨)، عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن العذري. والحديث ذكره الإمام ابن القيم وقوَّاه لتعدد طرقه في مفتاح دار السعادة (١٦٣/١، ١٦٤)، نشر دار الكتب العلميَّة، بيروت. وكذلك العلامة ابن الوزير الذي استظهر صحته أو حُسْنه، لكثرة طرقه مع ما نقل من تصحيح الإمام أحمد له، والحافظ ابن عبد البر، وترجيح العقيلي لإسناده، مع سعة اطلاعهم وأمانتهم. فهذا يقتضي التمسك به. انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (٢١/١ ـ ٢٣)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

QaradawiBooks.com

ففي الحديث: «**وددتُ لــو أنِّي رأيتُ إخواني**». قالوا: أوَلَسْــنا إخوانَك، يا رسولَ الله؟ قال: «**أنتم أصحابي، أمَّا إخواني فقومٌ يأتون بعدُ**»[(١)].

رأى فيهم «الغربــاء» الَّذين يُحْيُون ما أمات الناس من سُــنَن النبوَّة، ويُصلحون ما أفسدوه منها، فطُوبى لهم[(٢)].

رأى فيهم «**أَعْجَبَ الخَلْقِ إيمانًا**»[(٣)]، الذين آمنوا برسولِ الله ﷺ ولم يَرَوْه، وآمنوا بكتابه «القرآن» وعملوا بما فيه.

رأى فيهم «القابضين علــى دينهم» في أيام الفتــن ـ بين المُضَيِّعين والضائعين ـ وإن كان «كقبضٍ على الجمــر» العاملين به في أيام الصبر رغم المُعَوِّقين والمُخَذِّلين، ولا غروَ فللعامل منهم أجرُ خمسين[(٤)].

رأى فيهم «الطائفة القائمة على الحقِّ»[(٥)]، الداعية إلى الاتِّباع بين انتحال المُبْطِلين وابتداع المبتدعين، المستمســكة بالوســطيَّة بين

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٤٩)، عن أبي هريرة.

(٢) إشارة إلى الحديث: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء». رواه مسلم في الإيمان (١٤٥)، وأحمد (٩٠٥٤)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٤٧٢)، والطبراني (٨٧/١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤١٠٤): فيه عطاء بن السائب وقد اختلط. عن ابن عباس.

(٤) إشارة إلى الحديث الشــريف: «إن من ورائكم أيامًا، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمســين يعملون مثل عملكم». وفي رواية: قيل: يا رسول الله، أجر خمسين رجلًا منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين رجلًا منكم». رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤١)، والترمذي في تفســير القرآن (٣٠٥٨)، وقال: حســن غريب. وابــن حبان في البر والإحسان (١٠٨/٢)، والحاكم في الرقاق (٣٥٨/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٩٣٤)، عن أبي ثعلبة الخشني.

(٥) إشارة إلى حديث: «لا تزال طائفة من أُمَّتي قائمين على الحقِّ، لا يضرُّهم من خالفهم، حتَّى يأتيَ أمرُ الله وهم على ذلك». متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومســلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الغُلاة والمُقَصِّرين، المهتدية إلى الصراط المستقيم بين المغضوب عليهم والضالِّين.

رأى فيهم الفئة المنصورة الَّتي تتحرَّر على يديها فلسطين، وينهزم أمامها اليهود، ويكون كلُّ الكون في صفِّها، حتَّى الشجر والحجر، يُؤَيِّدها ويَدُلُّها على أعدائها ـ بلسان الحال أو بلسان المقال ـ قائلًا: «**يا مسلمُ، يا عبدَ الله، هذا يهوديٌّ ورائي فتعالَ فاقتُلْه**»(١).

جيل يؤمن بالواقعيَّة والعلميَّة:

جيل يتجاوز العشوائيَّة، ويكفر بالغوغائيَّة، ويحتكم إلى الحقائق لا إلى الأوهام، ولا ينسى وهو يتطلَّع إلى السماء، أنَّه واقف على الأرض، فلا يجري وراءَ خيالٍ كاذبٍ أو حُلُمٍ فارغ، أو أمانيَّ موهومة، فيسبح في غير ماء، ويطير بغير جَنَاح!

جيل كبير الآمال، ولكنَّه واقعي التفكير، يرنو إلى شاطئ الأحلام، ولكنَّه يتوقع هياج البحر، وغضب الموج، ومفاجآت الأعاصير، يعلم أنَّ الدهر قُلَّب، وأنَّ الدنيا دول، وأنَّ الأيام سجال، وأنَّ دوام الحال من المحال: ﴿**وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١٤٠].

جيل واقعي لا يسبح في البرِّ، ولا يحرث في البحر، ولا يبذُر في الصخر، ولا ينسج خيوطًا من الخيال، ولا يبني قصورًا على الرمال!

ولا ييئس من رَوْح الله، ولا يقنط من رحمة ربِّه، ولكنَّه يعرفُ حدودَ قدراته، ودائرة إمكاناته، فلا يبتغي الثمرة قبل أوانها، ولا يستعجل

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦)، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢)، عن أبي هُرَيرة.

QaradawiBooks.com

الأشياء قبل إبَّانها، ولا يُوَرِّط نَفْسَه فيما لا يستطيع، ولا يُدْخِل نَفْسَه في مأزقٍ لا يعرف الخروج منه، متمثلًا قول الشاعر:

وأحْزَمُ النَّاسِ مَنْ لو مَاتَ مِنْ ظَمَأٍ لَا يَقْرَبُ الوِرْدَ حتَّى يَعْرِفَ الصَّدَرَا[1]!

جيلٌ يراعي قوانينَ اللهِ في كونه، كما يراعي أحكامَه في شرعه، يتبنَّى سياسة النَّفَس الطويل والصبر الجميل، فهو يصبر على البذرة حتَّى تَنْبُت، وعلى النَّبْتة حتَّى تُورق، وعلى الورقة حتَّى تُزْهر، وعلى الزَّهْرة حتَّى تُثْمر، وعلى الثمرة حتَّى تَنْضُج، وتُؤتي أُكُلها بإذن ربِّها!

جيلٌ يؤمنُ بالعلم، ويحترمُ العقل، ويَدِينُ للبرهان، ويرفض الخرافةَ، ولا يتَّبع الظنَّ وما تهوى الأنفس، تَعلَّم من القرآن والسُّنَّة أنَّ التفكير فريضة، وأنَّ التأمُّل عبادة، وأنَّ طلب العلم جهاد، وأنَّ الجمود على القديم لمجرَّد قِدَمه جهلٌ وضلال، وأنَّ الاتِّباع الأعمى للآباء والكبراء فسادٌ وخيال، فهو لهذا يُفَكِّر قبل أنْ يحكم، ويتعلَّم قبل أنْ يعمل، ويستدلُّ قبل أن يَعْتَقِد، ويُخَطِّط قبل أنْ يُنَفِّذ، ولا يقبل حُكمًا بلا بَيِّنة، ولا دعوى بلا برهان. قد وضع نُصْب عَيْنَيه قول الله تعالى: ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١، والنمل: ٦٤].

(١) هو صفي الدين الحِلِّي، كما في ديوانه صـ ٦٩، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

جيلُ عملٍ وبناء جَماعي:

جيل لا يقف أبناؤه عند التغنِّي بأمجاد الماضي، ولا عند النُّوَاح على هزائم الحاضر، ولا عند التمنِّي لانتصارات المستقبل، إنَّما يؤمنون بأنَّ المجد بالعطاء لا بالمفاخرة، وبالإنتاج لا بالثرثرة، وأنَّ الفتى مَنْ يقول: هأنذا، وليس الفتى من يقول: كان أبي. وأنَّ الانتصار على مآسي اليوم، وتحقيق آمال الغد، إنَّما يتحقَّق بالجِدِّ لا بالهزل، وبالبناء لا بالهدم، وبالعمل الهادي لا بالصُّراخ المُدَوِّي، وأنَّ الإيمان الحقَّ ما وَقر في القلب وصدَّقه العمل، وما خلق الله الناس إلَّا ليعملوا، بل ما خلقهم إلَّا لِيَبْلُوَهم أيُّهم أحسنُ عملًا[1]. ولهذا يعتبرون العملَ فريضة، وإحسانَه عبادة، والتعاونَ عليه جهادًا، مُوقِنِينَ بأنَّ الله لا يُضِيع أجر مَنْ أحسن عملًا، ولا يظلم مثقالَ ذرَّة، وسيرى اللهُ عملَهم ورسولُه والمؤمنون.

جيل يؤمن بأنَّ العملَ الجماعيَّ لنصرة الإسلام واستعادة سلطانه فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدِّين، وضرورة يُحَتِّمها الواقع، وأنَّ إصلاح الفرد ـ وإنْ كان هو الأساس ـ لا يتمُّ إلَّا في ظل جماعةٍ يعيش في كَنَفها.

تعلَّموا من كتاب ربِّهم أنَّ الله يخاطبهم بالتكاليف بصيغة الجماعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، حتَّى يشعروا أنَّهم متكافئون في تنفيذ ما أمر الله تعالى، والانتهاء عمَّا نهى عنه، كما تعلَّموا منه أنَّهم يُناجون ربَّهم إذا قرؤوا الفاتحة في كلِّ صلاةٍ بصيغة الجماعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦]؛ فهو يتكلَّم باسم الجماعة، وإن كان وحده خاليًا حتَّى تظلَّ الجماعة حيَّة في ضميره،

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

QaradawiBooks.com

مذكورة على لسانه، وبذلك تذوب فرديَّته في سبيل أُمَّته وتختفي «أنا» لتبرز مكانها «نحن».

وتعلَّموا كذلك من كتاب ربِّهم أن يعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرَّقوا، وأن يتعاونوا على البِرِّ والتقوى، وأن يتواصَوْا بالحقِّ والصبر، وألَّا يختلفوا كما اختلف الَّذين من قبلهم فيهلكوا كما هلكوا، ولا يتنازعوا فيفشلوا وتذهب رِيحُهم.

أجل، علَّمهم دينهم، وعلَّمهم تاريخهم، وعلَّمهم واقعهم: أنَّ المرء قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه، ضعيفٌ بمفرده، قويٌّ بجماعته، وأنَّ اليدَ وحْدَها لا تُصَفِّق، وأنَّ صيحةَ الفرد وحدَه لا تُسْمِع، وأنَّ «**يد الله مع الجماعة**»[(١)]، و«**إنَّما يأكل الذئب من الغَنَمِ القَاصِيَةَ**»[(٢)]، وأنَّ اتِّحاد العدد القليل يُقَوِّيهم ويُعَوِّضهم بقُوَّة الوَحدة عن ضعف القلَّة، وأنَّ اختلاف العدد الكثير يضعفهم، فلا تغني عنهم كثرتهم شيئًا. وأنَّ الأهداف الكبرى الَّتي يريدون من الأُمَّة تحقيقها من التحرُّر والوحدة والنهوض والنماء، وتحكيم الإسلام في الداخل، وتبليغه في الخارج، لا يمكن أن تتمَّ إلَّا بجهود جماعيَّة بنَّاءة، وما لا يتمُّ الواجبُ إلَّا به فهو واجب.

وقد علموا من قراءة الواقع: أنَّ أهل الباطل يتكتَّلون حول باطلهم، فأولى بأهل الحقِّ أن يتجمَّعوا على حقِّهم، وأنَّ من فَرَّقَتْهم أيامُ الرخاء

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٦)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في إصلاح المساجد (٦١)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٢١٧١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٥٤٧)، والنسائي في الإمامة (٨٤٧)، والحاكم في التفسير (٤٨٢/٢)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٥٦)، وصحَّح النووي إسناده في خلاصة الأحكام (٧٨٤)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

أهلٌ لأن تجمعهم ساعة الشدَّة؛ «إنَّ المصائب يجمعن المصابينا»[١]. وأنَّ المعارك الكبرى تُوحِّد المختلفين أمام العدو المشترك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

إنَّ اللبِنَاتِ المتناثرة ـ مهما يكن عددها ـ ومهما تكن متانة كلٍّ واحدة منها ـ لا يكون منها بناء ينتفع به الناس. إنَّ نفعها مرهون بتجمُّعها وتماسكها بصورة منتظمة، وَفقًا لتصميم معلوم، ونظام مرسوم.

لهذا صمَّموا على أن يبحثوا عن أشباههم ممَّن يَنْشُدون الحقَّ، ويرفضون الباطلَ، ويدعون إلى الخير، وينكرون الشرَّ، ويأمرون بالمعروف، وينهَوْن عن المنكر، ليضعوا أيديَهم في أيدِيهم، ويضمُّوا جُهْدَهم إلى جُهْدِهم، ليتكوَّن من اللبنات المتناثرة جدارٌ متين، ومن الجدران المتعددة دارٌ شامخة، ومن الدور المتنوِّعة مدينة عامرة، فمَضَوْا في طريق العمل الجماعي، يعملون في صمت، يعيشون متواصِيْنَ بالحقِّ والصبر، متواصلين في العُسْر واليُسْر، ويبنون في صبر، ويجاهدون بلا كللٍ ولا ملـلٍ، وعزموا على أنْ يكونوا متعاونين على البِرِّ والتقوى، متكاتفين في السرَّاء والضرَّاء، فـ«**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا**»[٢].

---

(١) عجز بيت لشوقي، وصدره:
فإن يكُ الجنسُ يا ابنَ الطَّلْحِ فرَّقنا
انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٤/٢)، نشر دار العودة، بيروت.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

جيل ربَّانِيَّة وإخلاص:

جيل من «الربَّانيِّين» الَّذين يعيشــون في الدنيا بقلوب أهل الآخرة، ويعيشون فوق الأرض وقلوبهم تهفو إلى عرش الله، حيث السبعة الَّذين يُظِلُّهم الله في ظِلِّه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه[1].

وقد وصلوا بحبل الله عُرَاهم، وأضاؤوا بنوره خُطَاهم، وعمَّروا بحُبِّه قلوبهم، ورطَّبُوا بذكره ألسنتهم، وشــغلوا بطاعته جوارحهم.. فهم بالله ولله، ومن الله وإلى الله. بالله اعتصامهم، ولله قيامهم، ومن الله استمدادُهم، وإلى الله فرارُهم، وعلى ضوء كتابه حركتُهم وسكونُهم، يحبُّون في الله، ويُبغضون فــي الله، ويَصِلون فــي الله، ويقطعون فــي الله، ويُعطون لله، ويمنعون لله، ويُســالمون لله، ويحاربون لله، فالله مبدؤهــم، واللهُ غايتُهم: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

أبرز ما يُمَيِّزهم عن غيرهم أنَّهم «مخلصون»، قد أخلصوا دِينَهم لله، كما أخلصهم اللهُ لدِينِه، قد أيقنوا أنَّ الدنيا خُلِقَت لهم، أمَّا هم فخُلِقُوا لله وحده. فلا غرو أنْ وضعــوا نُصْبَ أعيُنِهم قــولَ ربِّهم: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

فإذا اختلفت غايات النَّاس في الحيــاة الدنيا، ما بين منهوم بالمال، ومشغوف بالشُّهرة، ومُغْرَمٍ بالسَّــطْوة، ومفتونٍ بالمرأة، ومُتَيَّمٍ بالكأس، ومُتَطَلِّــع إلى المُلْــك؛ فإنَّهم لا يريــدون علوًّا في الأرض ولا فســادًا، ولا يبغون جاهًا ولا مالًا، ولا يجرون خَلْفَ شَهْوَةٍ أو شهرة، يدعون ربَّهم

(١) إشارة إلى الحديث المشهور المتفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ألَّا يجعل الدُّنيا أكبر هَمِّهم، ولا مَبْلَغَ عِلْمِهم[١]. فإذا جاءتهم الدنيا جعلوها في أيديهم، ولم يدخلوها في قلوبهم، واتَّخذوها طريقًا، ولم يتَّخِذُوها غاية. إنَّما همُّهم الآخرة، وغايتهم رضوانُ الله، فكلُّ ما دون الله والجنَّة سراب، وكلُّ ما فوقَ التُّرابِ تراب!

خالطت قلوبهم بشاشة التوحيد، فلا يبغون غيرَ الله ربًّا، ولا يبتغون غير الله حَكَمًا، ولا يتَّخِذُون غير الله وليًّا، قد حطَّموا من حياتهم كُلَّ الأوثان، وبَرِئوا من كلِّ الآلهة المُزَيَّفين، فلم تَعُدْ تركعُ ظهورُهم لغير عبادة الله، كما لا تركع عقولهم وقلوبهم لغير كلمة الله، فَهِموا معنى مناجاتهم لربِّهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فلم يعودوا يعبدون إلَّا الله، ولا يستعينون أحدًا سواه. تَحَرَّروا من عبادة أنفسهم وأهوائهم، وشرُّ إلٰهٍ عُبِد في الأرض الهوى[٢]، كما تحرَّروا من عبادة كلِّ شيءٍ دون الله، أو مع الله.

لا يعبدون الأصنام، ولا يعبدون الأوهام، ولا يعبدون الأهواء، ولا يعبدون الأشخاص، ولا يعبدون الطبيعة، ولا يعبدون الطاغوت أيًّا كان اسمُه وعنوانه وصورته، فقد وعوا عن رسل الله نداءهم للبشر: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. قد تبيَّن لهم الرُّشْد من الغَيِّ، فكفروا بالطاغوت، وآمنوا بالله، فاستمسكوا بالعُرْوة الوُثْقى لا انفصامَ لها.

---

(١) إشارة إلى حديث: «اللهمَّ اقسمْ لنا من خشيتِكَ ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبَلِّغنا به جنَّتك... ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبرَ همِّنا ولا مبلغَ عِلْمِنا، ولا تُسَلِّط علينا من لا يرحمنا». رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٢٣٤)، وحسَّنه الألباني في الكلم الطيب (٢٢٦)، عن ابن عمر.

(٢) انظر: المدخل لابن الحاج (١١٦/٣)، نشر دار التراث.

QaradawiBooks.com

جيلٌ نَسَبُه الإسلام:

مَنْ سأل عن جنسيَّتهم أو نسبهم أو هُوَيَّتهم فهم «مسلمون»، لا بالاسم واللقب، ولا بحكم الوراثة أو البيئة، بل بالدراسة والبرهان، والتذوُّق والتخلُّق؛ فهم يؤمنون بالإسلام عن بيِّنة، ويرفضون الجاهليَّة عن دراية، ويدعون إلى الله على بصيرة، ويكفرون بالطاغوت على علم، لا يبتغون غير الإسلام دينًا، ولا يرضون بغير شريعته منهاجًا، ولا يقبلون غير كتابه دستورًا، وكيف لا يرضونه وقد رضيه اللهُ لهم، وأتمَّ به النعمةَ عليهم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، وإذا دُعُوا إلى تحكيم الطاغوت ـ وكلُّ ما عدا الله ورسوله طاغوتٌ ـ قالوا: أَبَيْنا وعَصَيْنا.

يرفضون التبعيَّة للغرب وللشرق جميعًا، فنورهم مُقْتَبَسٌ من شجرةٍ مباركة: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]، لا يقبلون ظلم الرأسماليَّة ولا ظلام الشيوعيَّة، ولا ينتمون إلى يمينٍ أو يسارٍ، فمكانهم دائمًا في المركز، وموقفهم هو الوسط بين الأطراف المتباينة، لا يعملون لحساب فرد أو طبقة أو حزب أو نظام، إنَّما عملهم للإسلام، وللإسلام وحده، وولاؤهم لأُمَّة الإسلام كلِّها، ولها وحْدَها دون غيرها، فهم منها وإليها، وبها ولها: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

QaradawiBooks.com

لا ينتسبون إلَّا للرحمٰن، ولا يعتزُّون إلَّا بالإيمان، ولا يتعصَّبون إلَّا للقرآن، ولا يفخرون إلَّا بالإسلام. شعارُهم قولُ القائل:

أَبِي الْإِسْـلَامُ، لَا أَبَ لِي سِـوَاهُ إِذَا افْتَخَـرُوا بِقَيْـسٍ أَوْ تَمِيمِ[1]!

جيل دعوة وجهاد:

جيلُ دعوةٍ وجهاد، كما كان الصحابة من المهاجرين والأنصار، إنَّهم من نُورِهم يقتبسون، وعلى هداهم يسيرون. جاهدوا في ذات الله أنفسهم، كما جاهدوا عدوَّ اللهِ وعدوَّهم. لا يَشْغَلُهم جهادٌ عن جهاد، ولا مَيْدانٌ عن ميدان، فهم في معركة دائمة مع العدوِّ الباطـن والعدوِّ الظاهر، وهم في صراع متواصل مـع الفجرة في الداخل، والكفرة فـي الخارج، لا يُلْقُون السلاحَ، ولا يسـتريحون من كفاح، حتَّى لا تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدِّينُ كلُّه لله، أرضُ الله كلُّها مَيْدَانُهم، ودارُ الإسـلامِ كلُّها وطنُهم، قد ترى أَحَدَهم ـ وهو العربيُّ ـ يُقاوم الزحفَ الشيوعيَّ الأحمرَ في أفغانستان، وترى آخر ـ وهو باكستانيٌّ ـ يُقاتل الزحفَ اليهوديَّ الأسودَ في فلسطين أو في لبنان. فالكفر كلُّه مِلَّةٌ واحدة: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١].

يجاهدون في سبيل الله في كلِّ معركةٍ تطلبُهم، وبكلِّ سلاحٍ يُمْكِنُهم، قد يكونُ باليدِ إذا كان لا بدَّ من اليد تحمل المدفع. وقد يكون بالمال إذا احتاج الجهاد إلى المال. وما أحوجَ الجهاد إلى المال! «**ومن جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا**»[2]. ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٤١].

---

(١) قول نهار بن توسـعة اليشـكري، انظر: الكامل في اللغة والأدب (١٣٣/٣)، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٥)، عن زيد بن خالد الجهني.

QaradawiBooks.com

وقد يكون باللسان إذا كان لا بدَّ من كلمة الحقِّ يصدع بها في وجه الباطل، تصل إلى النَّاس مقروءة أو مسموعة؛ فإذا عجزوا عن الجهاد بالسِّنَان، لم يعجزوا عن الجهاد بالقرآن، وهو الجهاد الكبير، كما سمَّاه الله في كتابه: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾، أي بالقرآن، ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

عزَّ عليهم دِينُهم، فهانت في سبيلِه دُنْياهم، وغلت عندهم عقيدتُهم، فرخصت من أجلها أنفسُهم وأموالُهم، ومن عرف قيمة ما يطلب هان عليه مقدار ما يبذل، ومن يخطب الحسناء لم يُغْلِها المَهْرُ!

اشترى اللهُ منهم وباعوا، وتمَّت الصفقة بينهم وبين ربِّهم فما ندموا ولا استقالوا، أغلى لهم الثمن من فضله فرَضُوا، وبذلوا له من ملكه فَرَضِي. وكيف لا وقد اشترى منهم أنفسًا هو خالقها، وأموالًا هو رازقها، ثم قال: خذوا ثَمَنَها جَنَّةً عَرْضُها السماوات والأرض؟! وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ويقول رسولُه الكريم: «**من خافَ أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنَّ سلعةَ اللهِ غالية، ألا إنَّ سلعةَ اللهِ الجنَّة**»[(١)].

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥٠) وقال: حسن غريب. والحاكم في الرقاق (٣٠٧/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي. وقال الألباني في الصحيحة (٢٣٣٥): صحيح لغيره. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فأكْرِم بهم من تجَّارٍ يرجون تجارةً لن تبور، تجارتُهم الإيمانُ والجهاد، وأسواقُهم المحاريبُ والميادين، ورأسُ مالِهم الأيامُ والأعمار، ورِبْحُهم مغفرةٌ من ربِّهم وجنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار!

كلَّما رأَوا الجاهليَّة تَشْمَخُ بأنفِ سلطان، أو تُطِلُّ برأس شيطان، غلت صدورُهم غَيْرةً على حرمات الله، كما يغلي المِرْجَل فوق النَّار، بل ذابت قلوبُهم حسرة، كما يذوبُ المِلْحُ في الماء، فليس شيءٌ أشدَّ على المؤمن من أن يتقهقر الحقُّ ليتقدَّمَ الباطل، وأن تختفي كلمةُ الله لتظهرَ كلمةُ الطاغوت!

إنَّ غَيْرَهم يعيش خاليًا من الهموم، إلَّا هَمَّ نَفْسِه وأَهْلِه، أمَّا هم فيُمْسُون ويُصْبِحُون وهم يحملون همَّ أُمَّة الإسلام كلِّها من المحيط إلى المحيط، تعصرهم مشاعر الأسى عليها عصرًا، ويكوي قلوبَهم الحزن كيًّا على مصيرها.

أوَّل ما يفكر فيه أحدُهم دينه، وآخِرُ ما يُفَكِّر فيه دنياه، كلُّهم يقول: أُمَّتي. ليس فيهم من يقول: نَفْسِي نَفْسِي. أعظمُ ما يشغلُهم ردُّ الشاردين عن الله، ليعودوا إليه تائبين، ودعوةُ الضالِّين عن منهج الإسلام ليرجعوا إليه مُهْتَدِين، ومقاومة المُغِيرين على أُمَّة القرآن ليرتدُّوا عنها مخذولين مدحورين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

غرباءُ ولكنْ يُعايشون الناس:

بهذا الرُّوح المُتَدَفِّق، وبهذا الاتِّجاه المتميِّز، وبهذا الجهاد المتواصل، عاشوا غرباء، وإن كانوا في أوطانهم وبين أهليهم وأقربائهم، إنَّها ليست غربةَ وَطَنٍ، ولا وجهٍ ولا يدٍ ولا لسانٍ، ولكنَّها غربةُ فِكْرٍ ورُوحٍ واتِّجاه.

QaradawiBooks.com

فهم يعيشــون في القرن الخامسَ عَشَرَ بأجســامِهم، ويعيشون في القرن الأوَّل بأفكارهــم ومشــاعرهم، ينظرون إلــى معاصريهــم ومواطنيهم بأبصارهم، ويرنون إلى الصحابة ببصائرهم، فيُحِسُّون بالغربة، ويأنسون بها، و«**طوبى للغرباء**»[1].

وهذه الغربة لا تجعلهم ينطوون على أنفسهم يائسين، أو يفرُّون إلى صوامــع العُزْلــة والتعبُّد الفــردي مُسْتَسْــلِمين. كما فعــل الرهبان في النَّصرانيَّة، والحنفاء في الجاهليَّة. فرهبانيَّتهم هي الجهاد، وحنيفيَّتهم هي الدعوة إلى مِلَّة إبراهيم، ولهذا يَظَلُّون في المَيْدَان صامدين، وعلى البلاء صابرين، وفي الطريق ســائرين، يَزيدون إذا نقص النَّاس، ويَصْلُحون إذا فسد النَّاس، ويُصْلِحُون ما أفسد النَّاس.

إنَّهم جيلٌ يُجَسِّد الصَّحْوة، ويُمَثِّل الصَّفوة، ويُجَسِّم القُدْوة، ويضرب المثل، ويتقدَّم الصفوفَ ساعةَ النِّدَاء، ويتأخَّر عند تقسيم المغانم، ولكنَّه ـ مع تميُّزه بالوعي، وتقدُّمه بالبذل، وتفوُّقه بالعطاء ـ لا يعيش في برجٍ عاجيٍّ، بعيدًا عن الناس مَزْهُوًّا بنفسه، مســتعليًا على غيره، بل يتفاعل مع الشَّعْب، ويُعايش الجماهير المســلمة في مواقعها، يحمل هُمومها، ويعاونها في حلِّ مُشْــكلاتها، ويشاركها مَسَــرَّاتها وأحزانها، ويُعبِّر عن آلامها وآمالها، ليس ذلــك صدقة منه عليها، فهي جــزءٌ منه وهو جزءٌ منها، لا تنفصل عنه ولا ينفصل بحالٍ عنها، فلا يتصوَّر أن يتعالى عليها، أو يَكْفُر بها ـ بَلْهَ أن يُكَفِّرها ـ بل هو حريصٌ عليها، رؤوفٌ بها، يؤازر عامِلَها، ويُعَلِّم جاهلَها، ويُنبِّه غافلَها، ويُذَكِّر ناســيَها، ويدعو شــاردَها، ويعالج مريضَها، ويُقوِّي ضعيفَها، فهــو أبٌ للصغير، وابنٌ للكبير، وأخٌ

(١) سبق تخريجه صـ٢٣.

QaradawiBooks.com

للنظير، وداعيةٌ للجماهير، لا يملُّ من دعوتها، ولا يقنطُ من عودتها، فهي الحليف الطبيعي، والرصيدُ التاريخي لكلِّ حركة إسلاميَّة، وكلِّ دعوةٍ إيمانيَّة.

جيلُ قوَّةٍ وعِزَّة:

وهم ـ مع غربتهم في قومهم وعصرهم ـ «أقوياء أَعِزَّاء» لم يوحشهم قلَّة السالكين، ولم يُوهِنْهم كثرةُ الهالكين، في أنوفهم شَمَم، وفي قلوبهم إِبَاء، وفي نفوسِهم تَرَفُّعٌ واعتدادٌ، كأنَّهم الجبالُ شموخًا ورُسُوًّا، أو النجومُ سَنَاءً وعُلُوًّا. يموت أحدُهم جوعًا، ولا يمُدُّ يَدَه مُسْتَجْدِيًا، ويُقْتَلُ صبرًا ولا يحني رأسَه مُتَذَلِّلًا. ينظرون إلى أصحابِ المال والسلطان نظرةَ الأطِبَّاء إلى المرضى والمسلولين، لا يرهبونهم ولا يُعَظِّمونهم، بل يشفقون عليهم ممَّا يحملون على ظهورِهم من أثقالٍ، وفي صدورهم من أسقامٍ، وينظرون إلى الذهب المكنوز في خزائنهم نظرةَ من يعلم أنَّها صفائح ﴿يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ٣٥].

قُوَّتُهم من قوَّة الحقِّ الَّذي يدعون إليه، وعزَّتُهم من عِزَّة الله الَّذي يؤمنون به: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

فهم ينظرون بنور الله، وينطقون بلسانِ النُّبُوَّة، ويضربون بيد القدر، لا يُغْريهم وعد، ولا يَثْنِيهم وعيد، فهم من مَعْدِن لا تُذِيبُه النَّار، ولا يَفُلُّه الحديد.

اهتدوا بالله فلم يضلُّوا، واعتزُّوا بدِينِه فلم يَذِلُّوا، وانتصروا بقُوَّته فلم يُغْلَبوا، واستغنوا بغِنَاه، فلم يفتقروا. نشيدُ أحدهم:

QaradawiBooks.com

أَنَا إِنْ عِشْتُ لَسْتُ أَعْدِمُ قُوتًا ... وإِذَا مِتُّ لَسْتُ أَعْدِمُ قَبْرَا!
هِمَّتِي هِمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي ... نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْرَا!
وَإِذَا مَا قَنِعْتُ بِالْقُوتِ عُمْرِي ... فَلِمَاذَا أَهَابُ زَيْدًا وَعَمْرَا[1]؟!

جيل تنزل به المحنُ فلا تهزم إصرارَه، ولا تُخْمِد نارَه، ولا تُطْفئ نورَه، ولا تغلب صبرَه، ولا تحطِّم عَزْمَه، ولا تُفْقِده أملَه، بل يجعل منها فرصةً لتطهير النَّفْس، وتمييز الصفِّ، ومراجعة الحساب، والاستعداد للغد، لا يَهِنُ ولا يضعفُ ولا يستكينُ، وأسوتُه في ذلك أولئك الربَّانيُّون الَّذين نوَّه الله بهم في كتابه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ ـ ١٤٨].

وبذلك يغلب المحن ولا تغلبه، ويقهر الشدائد ولا تقهره، ويخرج منها أطهر وأزكى، وأصفى وأنقى، كما جاء في الحديث: «**مثل المؤمنِ تُصِيبُه المُصِيبَةُ كمَثَلِ الحديدةِ تدخل النار، فيذهب خَبَثُها، ويَبْقَى طَيِّبُها**»[2].

إنَّ الَّذي يُذِلُّ أعناقَ الرجال، ويجعلهم أمامَ الجبابرة ضعفاءَ مَهَازيل: أمران: الخوفُ، والطمعُ، وهؤلاء قد سدُّوا منافذَ الخوفِ في قلوبهم، فلم يعودوا يخافون إلَّا الواحد القهَّار ويومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار. كما

(١) تنسب إلى الإمام الشافعي، كما في الجوهر النفيس من شعر الإمام محمد بن إدريس صـ ٦٦، إعداد محمد إبراهيم سليم، نشر مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر، القاهرة.

(٢) رواه الحاكم في الإيمان (٧٣/١)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، بلفظ: «إنَّما مثل العبد المؤمن حين يُصيبه الوَعَك والحُمَّى، كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها»، عن عبد الرحمٰن بن أزهر.

QaradawiBooks.com

أغلقوا أبواب الطمع في نفوسهم. فلم يبقَ لهم طمعٌ إلَّا في مغفرةٍ من ربِّهم، وجنَّةٍ عَرْضُها السَّماوات والأرض، لا يخافون على الأجلِ فهو محدودٌ محتوم، ولا على الرِّزْقِ فهو مُقَدَّرٌ مَقْسُوم.

لا يستطيع مُتَكَبِّر جبَّار أن يُذِلَّ نُفُوسَهم، أو يُنَكِّس رؤوسهم، وإنْ صبَّ عليهم سِيَاطَ العذاب، وأذاقهم العَلْقَمَ والصَّابَ[1]، فهو إنَّما يملك ظواهرهم، ولا يملك بواطنهم، يملك الجسم، ولا يملك القلب، يملك المَحَارة، ولا يملك اللؤلؤة!

قد يستطيع أن يحبس أبدانهم عن الحركة، ولا يستطيع أنْ يحبس أرواحَهم عن الانطلاق، فإذا تحدَّاهم فرعونُ من الفراعنةِ أن يقتلهم أو يصلبهم. قالوا له ما قال السَّحَرة حين آمنوا: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ [طه: ٧٢].

وماذا يملك العدوُّ الجبَّار لهم، وهم يدخلون المِحَنَ كما يدخل الذَّهَبُ الأصيلُ النَّار، لا تزيدهم المِحَنُ إلَّا نقاءً وإيمانًا، كما لا تزيد النارُ الذَّهَبَ إلَّا صفاءً ولمعانًا؟!

وماذا يملك الطاغيةُ لمؤمنٍ يستعذبُ العذابَ من أجل عقيدته، ويستمرئ المُرَّ في نُصرة دعوتِه؟! يُسَمِّي النفيَ هجرةً إلى الله، والسجنَ خَلْوة لطاعة الله، والقتلَ شهادةً في سبيل الله!

جيل توازن واعتدال:

وهم ـ مع صلابتهم وقوتهم وجهادهم وغيرتهم ـ متوازنون معتدلون، على صراط مستقيم. لا يميلون إلى اليمين، ولا ينحرفون إلى الشمال،

(١) الصَّاب: عصارة شجر مر. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (ص وب).

QaradawiBooks.com

لا يَغرَقــون في المادِّيَّــات، ولا يُغرِقون في الرُّوحَانِيَّــات[١]، يعلمون أنَّ لربِّهــم عليهم حقًّا، وأنَّ لأنفســهم عليهم حقًّا، ولأُسَــرِهم عليهم حقًّا، ولمجتمعهم عليهم حقًّا، فهم يُعْطُون كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، غير جانحين إلى الإفراط، ولا مائلين إلى التفريط، لا يطغون في الميزان ولا يُخسِرون، بل يقيمون الوزن بالقسط ولا يُخسِرون الميزان.

يأخــذون بالعزائم، ولا يغفلون الرُّخَــص، فـ «**إنَّ اللهَ يحبُّ أن تؤتى رُخَصه، كما يحبُّ أنْ تؤتى عزائمه**»[٢]. يُبَشِّــرون ولا يُنَفِّرون، ويُيَسِّرون ولا يُعَسِّرون، فقد علَّمهم القرآن أنَّ الله يريد بعباده اليسر، ولا يريد بهم العسر، وما جعل عليهم في الدِّين من حرج. يدعون إلى رسالتهم بالرِّفْق لا بالعنف، وبالحكمــة لا بالحماقة، ويجادلون بالَّتي هي أحســن، قد وضعوا نُصب أعيُنِهم قولَ ربِّهم: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ينظرون إلى العُصــاة كما ينظر الطبيب إلــى المرضى، لا كما ينظر الشرطي إلى اللصوص، لا يتَّهمون عاصيًا بالكفر، مخافة أن يرتدَّ عليهم. ولا يقولــون: هلك النَّــاس، متَّهِمين غيرَهــم، ومُبَرِّئين أنفسَــهم، ففي الحديث: «**مَنْ قال: هلك النَّاسُ، فهو أهلكهم**»[٣].

هم غيورون على دينهم، متسامحون مع مخالفيهم، مؤمنون بفكرتهم في غير تعصُّب، معتــدُّون برأيهم في غير عنادٍ، فــإذا كان رأيُهم صوابًا

(١) يغرقون ـ الأولى بفتح الياء والراء، والثانية بضم الياء وكسر الراء.

(٢) رواه ابن حبان في البر والإحســان (٣٥٤)، وقال الأرناؤوط: إســناده صحيــح. والطبراني (٣٢٣/١١)، عن ابن عباس.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٣)، وأحمد (٧٦٨٥)، عن أبي هريرة.
وأهلكهم بضم الكاف أي أقربهم هلاكًا، أو أشدهم هلاكًا، أو بفتح الكاف أي هو سبب هلاكهم.

QaradawiBooks.com

يحتمل الخطأ، فرأيُ غيرهم خطأ يحتمل الصواب، ومن يدري لعلَّ رأيَهم هو الخطأ بعَيْنِه، وحسْبهم أنَّهم مجتهدون مأجورون أصابوا أم أخطؤوا.

يُفَرِّقون بين الأصول والفروع، فهم في الأولى في صلابة الحديد، وفي الثانية في ليونة الحرير، ويُمَيِّزون بين مراتب الأعمال وأحكامها، مأمورات كانت أو منهيَّات، فلِكُلِّ عملٍ مَرْتَبَتُه، ولكلِّ مرتبةٍ حُكْمُها، فالمفروض غَيْرُ المندوب، والمحرَّمُ غير المكروه، والكبائر غير الصغائر، والمتَّفق على وجوبه أو حُرمته غير المُختلَف فيه، وما ثبت بدليلٍ قطعي غير ما ثبت بدليلٍ ظَنِّي، وهم في هذا لا يتعالمون ولا يدَّعون، بل يسألون أهل الذكر، ويرجعون إلى أهل الاختصاص، فلكلِّ علمٍ أهله، ولكلِّ فنٍّ خبراؤه، كما نطقت بذلك آيات القرآن: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧].

لهذا لا تشغلهم الجزئيَّات عن الكُلِّيَّات، ولا تلهيهم المسائل الجانبيَّة عن القضايا المصيريَّة، ولا يدَعون أوقاتهم وجهودهم يأكلها الجدل في الخلافيَّات، والمراء في الأغاليط، والسؤال عن دمِ البعوض ودمُ الحسينِ مُهَراق! اشتغلوا بالعمل عن الجدل، وبالبناء عن الهدم، وبالجمع عن التفريق، وجعلوا شعارهم: نتعاون فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضُنا بعضًا فيما اختلفنا فيه[1].

وازَنُوا بين دُنْياهم وآخرتهم، فأعطوا لكلٍّ منها حقَّها، فلم يهربوا من الدنيا هَرَب أهلِ الصوامع والعزلة، ولم يتكالبوا عليها تكالُبَ أهلِ الشُّحِّ والغفلة.

(١) قاعدة المنار الذهبية، للعلامة محمد رشيد رضا. انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧)، نشر دار المنار، القاهرة.

QaradawiBooks.com

لا يقولون ما قال الجاهلون: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠] بل يقولون ما قاله المؤمنون: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

ويدعون لأنفسهم بما دعا به رسولُ الله ﷺ لنفسه: «**اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عِصْمَةُ أمري، وأصلحْ لي دُنْيَاي الَّتي فيها معاشي، وأصلحْ لي آخرتي الَّتي إليها مَعَادي**»[(١)].

لا يهملون الجسم من أجل تصفية الرُّوح، ولا يغفلون الرُّوح من أجل متاع الجسم. يمزجون بين الرُّوح والمادة، ويربطون بين الدنيا والآخرة، ويجمعون بين العلم والإيمان، بين الواقعيَّة والمثاليَّة، بين العقل الذكي والقلب النقي، بين الثبات على الغايات، والتطور في الأساليب، بين أداء الواجبات وطلب الحقوق، بين الحرص على القديم والاستفادة من الجديد. لا ينقطعون عن الماضي، ولا ينعزلون عن الحاضر، ولا يُفَرِّطون في قديمٍ نافع، ولا يَضِيقون بجديدٍ صالح.

يطالبون أنفسهم بالواجبات الَّتي عليهم، قبل أن يطالبوا غيرهم بالحقوق الَّتي لهم، فجلُّ ما يشغلهم: «ماذا عليَّ؟» وليس: «ماذا لي؟».

نهارُهم نهارُ العاملين، وليلُهم ليلُ القانتين، تراهم بالنَّهارِ فرسانًا، وتحسبهم بالليلِ رُهْبَانًا، كما وُصِفَ أصحابُ رسول الله ﷺ وتابعوهم بإحسان[(٢)]. لا يطغى عملُ النهار على عملِ الليل، ولا عمل الليل على

(١) رواه مسلم في الذكر (٢٧٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) قالها رجل من نصارى العرب، حين بعثه أمير من الروم اسمه: الْقَيْقَلَانُ. انظر: البداية والنهاية (٥٥٢/٩)، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، نشر دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

عمل النهار، لا تُلهيهم نافلةٌ عن فريضة، ولا فرضٌ عن فرض مثله أو أهمَّ منه.

يتمتَّعون بالحلال من زينة الله الَّتي أخرج لعباده والطيِّبات من الرزق، ضاربين في الأرض مبتغين من فضل الله، ولكنَّ أحدَهم يبيتُ طاويًا بطنَه على الطَّوَى، ولا تمتدُّ يدُه ولا عينُه ولا أمنيتُه إلى حرامٍ، فهم أعقل من أنْ يشتروا النارَ بلقمةٍ أو شهوةٍ، وأوعى من أن يبيعوا الجنَّة بجَنَاحِ بَعُوضَة.

أوَّابون توَّابون:

وهم بعد ذلك كلِّه «أوَّابون توَّابون». إنَّهم يحذرون على أنفسهم من معصية الله، أكثر ممَّا يحذرون من أعداء الله وأعدائهم؛ فهم يسألون الله دائمًا أن يكفيهم بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وهم يخافون من معاصي القلوب أكثر ممَّا يخافون من معاصي الجوارح، فمعاصي القلوب أشدُّ خطرًا وأفتك أثرًا من الاستعلاء والكبر، أو الغرور والعجب، أو الرياء وحبِّ الظهور، أو سوء الظنِّ بالنَّاس، أو الحسد والبغضاء، أو غير ذلك ممَّا حذَّر منه القرآن والحديث، وسمَّاه الإمام الغزالي «المهلكات» الَّتي يذهب معها فضل الصيام، وثواب القيام، فهي تأكل الحسنات كما تأكل النَّار الحطب!

وحسْبُهم أن يقرؤوا في ذلك: «**لا يدخلُ الجنَّةَ من كان في قلبه مِثْقَال ذرَّة من كِبْرٍ**»[1]، «**ثلاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مطاعٌ، وهوًى متَّبع، وإعجابُ المرء**

(١) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٩٩)، عن عبد الله بن مسعود.

QaradawiBooks.com

بنفسه»[(١)]، «إنَّ اليسيرَ من الرياءِ شِرْك»[(٢)]، «دبَّ إليكم داءُ الأممِ من قبلكم: الحسدُ والبغضاءُ، والبغضاءُ هي الحالقة. لا أقول: تحلقُ الشَّعر، ولكنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»[(٣)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

هذا هو موقفهم من المعاصي، إنَّهم يخافونها، وينأون بأنفسهم عن الأبواب الَّتي توصل إليها، والمسالك الَّتي تُقرِّب منها، سدًّا للذريعة، وبعدًا عن الفتنة، واتِّقاءً للشبهة، ومن اتَّقى الشُّبُهات فقد استبرأ لدِينِه وعِرْضِه[(٤)].

ومع هذا هم بَشرٌ من ذُريَّة آدم الَّذي قال الله فيه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

---

(١) رواه البزار (٧٢٩٣)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب باب الترغيب في الأذان وما جاء في فضله (٦٥٤): هو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩)، عن أنس بن مالك.

(٢) رواه ابن ماجه في الفتن (٣٩٨٩)، والحاكم في الإيمان (٤/١)، وقال: صحيح لا علة له. وفي الرقاق (٣٢٨/٤)، وصحَّحه، وأما في زوائد ابن ماجه (١٤١٠)، فضعَّفه بابن لهيعة، مع أنَّ الراوي عنه هو عبد الله بن وهب. والتحقيق: أنَّه إذا روى عنه أحد العبادلة ومنهم ابن وهب ـ فحديثه مقبول، ويصححه كثير من المحققين. وكان الأولى أن يضعَّف في سند ابن ماجه بعيسى بن عبد الرحمٰن فهو متروك. وسند الحاكم في الموضع الأول ليس فيه ابن لهيعة ولا عيسى، فهو العمدة.

(٣) رواه أحمد (١٤١٢) وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣) حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

(٤) إشارة إلى الحديث: «الحلال بَيِّن، والحرام بين، وبينهما مُشَبَّهات لا يعلمها كثيرٌ من النَّاس، فمن اتَّقى المُشَبَّهَاتِ استبرأ لدِينِه وعِرْضه...». متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النُّعمان بن بَشِير.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

ليسوا ملائكةً مطهَّرين، ولا أنبياء معصومين. إنَّهم ـ ككلِّ بني آدم ـ خطَّاؤون[1]، ولكنَّهم سرعان ما يفلتون من جاذبيَّة التراب، ويعودون إلى الله تائبين مستغفرين؛ شأن أهل التقوى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. تذكَّروا عهد الله إليهم: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠، ٦١]. تذكروا نعمة الله عليهم وميثاقه الَّذي واثقهم به إذ قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]. تذكروا عهد الله بالأمس، ورقابته اليوم، وحسابه في الغد، فأبصروا ما كان خافيًا عليهم، أبصروا الغاية وأبصروا الطريق.

فإذا غلب ثقل الطين فيهم يومًا على شفافية الروح، وانهزم باعث الدين أمام باعث الهوى، لم يستسلموا للشيطان وجنوده، بل قالوا ما قال أبوهم آدم وأمُّهم حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

هذه مزيَّتُهم: أنَّهم ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ينظرون إلى ما ينزل عليهم دائمًا من نعم لله لا تتناهى، وهو الغنيُّ عنهم، وما يصعد إليه سبحانه من أعمالهم الناقصة أو المخالفة وهم الفقراء إليه، فيشعرون بالتقصير في حقِّه، ويحسُّون بالتفريط في جنبه،

(١) إشارة إلى حديث: «كلُّ ابن آدم خطَّاء، وخيرُ الخطَّائين التوَّابون». رواه أحمد (١٣٠٤٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٩)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥١)، وحسَّنه الألباني في المشكاة (٢٣٤١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

فينادون بما نادى به ذو النون ربَّه في الظلمات ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فهم دائمًا تائبون، وأبدًا مستغفرون. يدعون بما دعا به أولو الألباب: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

ذلكم هو الجيل المنشود:

هذا هو الجيل الَّذي ننشده، وتنشده معنا الأُمَّةُ كلُّها من جاكرتا إلى رباط الفتح، وهو الَّذي نسعى جاهدين لتكوينه، ونُذيب حبَّاتِ قلوبِنا من أجله.

وهو الَّذي تعمل القوى العالميَّة والمحلِّيَّة المعادية للإسلام على إجهاضه قبل أنْ يولد، وعلى وأْده بعد أن يوجد. فإنْ أعياها هذا أو ذاك، فلتحاولْ تضليله عن الهدف الحقيقي بأهداف موهومة، وشَغْله عن معركته الكبرى بمعارك جانبيَّة تافهة، وتعويقه السير بصدامات تفتعلها على الطريق، وإلهائه عن ضرب العدوِّ بضربِ بعضِهم ببعض، وإغراقه في دوَّامة من الجدل لا يخرج منها، إلى غير ذلك من أسباب الفتنة وأساليب الكيد، وهو عنها غافل.

هذا الجيل وتكوينه يجب أنْ يكون الشغل الأوَّل للحركات الإسلاميَّة المعاصرة، كما يجب على الدعاة والمُفَكِّرين والفقهاء والمُرَبِّين أن يتعاونوا على حُسْن إعداده وتربيتِه تربيةً متكاملة: رُوحيًّا وجسميًّا وعقليًّا وأخلاقيًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، ويعملوا على حمايته من نفسه أولًا حتَّى لا يتآكل من الداخل. ثم حمايته من كيد الأعداء، وجهل الأصدقاء.

QaradawiBooks.com

إنَّه الجيل الَّـذي ادَّخره الله ليحمل رُوح أبي بكر فـي مقاومة الرِّدَّة وحرب المرتدين، ووصفـه الله بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

إنَّ هذا الجيل المنشـود هو جيل النصر. هو الَّذي تتحرَّر على يديه فلسطين وأفغانسـتان وأريتريا والفلبين وبخارى وسَـمَرْقَنْد، وكل أرض دنَّسها الطواغيت والفجَّار.

هو الجيل الَّذي ترتفع به راية الله في أرض الله، ويسود به دينُ الخالقِ دنيا الخلق، وتشرق به أنوار السماء على ظلمات الأرض.

هذا الجيل هـو الجدير بأنْ يتنزل عليه نصر الله، وأنْ تسـير في ركبه الملائكة، وأنْ يكون كلُّ شيء في الوجود مسخرًا لنُصرته، حتَّى يقول له الحجر والشـجر: «**يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهوديٌّ خلفي، فتعالَ فاقتلْه**»[1]!

والنداء اليوم موجَّه إلى أبناء الإسـلام وبناتـه أن يتجاوزوا مرحلة الوهن والغثاء، إلى مرحلة القـوة والبناء، ويلحقوا بركب الجيل الرباني المنشـود، وقد بدت بفضل الله بشـائره، وظهرت في كل ديار الإسلام طلائعه. ولم تضع جهود المصلحين الصادقين هباءً: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

(١) سبق تخريجه صـ٢٤.

QaradawiBooks.com

أما من رَضِيَ لنفسه أن يقعد مع القاعدين، أو يلهو مع الغافلين، أو يسير في رِكاب المبطلين، فحسبه أنَّه خسر نفسه وربحه الشيطان، وأسخط ربه وأرضى عدوه، وضيَّع على نفسه أعظم تجارة في الدنيا والآخرة.

عَلَى نَفْسِه فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْهَا نَصِيبٌ ولا سَهْمُ[1]!

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) من شعر ابن الفارض، كما في ديوانه صـ ١٤٣، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٢١، ٢٦، ٣٠
﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٢٦
سورة البقرة		
﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ... وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾	٣٥	١٨
﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	١١١	٢٥
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	١٤٣	٤٦
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾	١٧٧	٢١
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾	٢٠٠	٤١
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾	٢٠١	٤١
﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ﴾	٢٤٩	١٢
سورة آل عمران		
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٨٥	٣١
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾	١٣٥	٤٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾	١٤٠	٢٤
﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ﴾	١٤٦ ـ ١٤٨	٣٧
﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم﴾	١٦٠	١٢ ،٤
﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ﴾	١٩٣	٤٥
﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾	١٩٥	١٨ ،١٧
سورة النساء		
﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾	٧٥	١٧
سورة المائدة		
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾	٢	١٦
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ﴾	٣	٣١
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ﴾	٨	١٦
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾	٥٤	٤٦ ،٢٠
﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾	٥٦	٣١ ،٤
سورة الأنعام		
﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾	١٤٣	٢٥
﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾	١٤٨	٢٥
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾	١٦٢	٢٩ ،١٦
﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾	١٦٣	٢٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأعراف		
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	٤٤
﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾	١٧٥	٢٢
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾	١٨١	٢٠
﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾	٢٠١	٤٤
سورة الأنفال		
﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾	٩، ١٠	١٢
﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾	١١	١٤
﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	١٢	١٣، ١٤
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾	٦٢، ٦٣	١٣
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	٧٣	٣٢
سورة التوبة		
﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٢٦	١٣، ١٤
﴿يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾	٣٥	٣٦
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾	٤٠	١٢
﴿وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٤١	٣٢
﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾	٦٧	٢٠
﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	٧١	٤، ١٩، ٢٠، ٣٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ﴾	١١١	٣٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الرعد		
﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴾	٢٠	٢١
سورة النحل		
﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾	٣٦	٣٠
﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	٤٣	٤٠
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾	١٢٥	٣٩
سورة طه		
﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴾	٧٢	٣٨
﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴾	١١٥	٤٣
سورة الأنبياء		
﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	٧	٤٠
﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٨٧	٤٥
سورة الحج		
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	٤٠	١٣
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٤١	١٣
سورة النور		
﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ ﴾	٣٥	٣١
﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾	٥١	٣١، ٤٤

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفرقان		
﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾	٥٢	٣٣
﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾	٥٩	٤٠
سورة النمل		
﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	٦٤	٢٥
سورة الروم		
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	١٣
سورة الأحزاب		
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾	٩	١٣، ١٤
﴿ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	١١	١٤
سورة فاطر		
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾	١٠	٣٦
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	١٤	٤٠
سورة يس		
﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	٦٠، ٦١	٤٤
سورة الصافات		
﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾	١٧٣	١٣
سـورة فصلت		
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾	١٦	١٤
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	٣٣	٣٤

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة محمد		
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾	٧	٤، ١٢
سورة الفتح		
﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾	٢٩	٨، ١٥
سورة الحجرات		
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾	١٢	٤٣
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾	١٥	٢١
سورة النجم		
﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾	٤٢	٢٩
سورة الحديد		
﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ﴾	٣	٢٩
سورة الحشر		
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ ﴾	٢	١٤
﴿ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ﴾	١٤	٨
سورة الصف		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا ﴾	٤	٢٨
سورة الجمعة		
﴿ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾	٥	٢٢
سورة الملك		
﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾	٢	٢٦

QaradawiBooks.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أَعْجَبَ الخَلْقِ إيمانًا	٢٣
أفضلَ الجهاد كلمة حقٍّ عندَ سلطانٍ جائر	١٧
اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عِصْمَةُ أمري	٤١
اللهمَّ اقسمْ لنا من خشيتِكَ ما يحول بيننا وبين معاصيك	٣٠
إنَّ اللهَ يحبُّ أن تؤتى رُخَصه، كما يحبُّ أنْ تؤتى عزائمه	٣٩
إن من ورائكم أيامًا، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر	٢٣
إنَّ اليسيرَ من الرياءِ شِرْك	٤٣
إنَّما النساء شقائق الرجال	١٧
إنَّما يأكل الذئب من الغَنَمِ القَاصِيَةَ	٢٧
ث	
ثلاث مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مطاعٌ، وهوًى متَّبع، وإعجابُ المرء بنفسه	٤٢
ح	
الحلال بَيِّن، والحرام بين، وبينهما مُشَبَّهات لا يعلمها كثيرٌ من النَّاس	٤٣
د	
دبَّ إليكم داءُ الأممِ من قبلكم: الحسدُ والبغضاءُ، والبغضاءُ هي الحالقة	٤٣
س	
سبعة يُظِلُّهم الله في ظِلِّه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه	٢٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ط	
طوبى للغرباء	٢٣، ٣٥
ف	
الفرقة الناجية	٢٢
ك	
كلُّ ابن آدم خطَّاء، وخيرُ الخطَّائين التوَّابون	٤٤
ل	
لا يدخلُ الجنَّةَ من كان في قلبه مِثْقَال ذرَّة من كِبْرٍ	٤٢
لا يزال من أمتي أُمَّةٌ قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم	٥، ٢٣
لمقام نُسَيْبة بنت كعب اليومَ خيرٌ من مقام فلانٍ وفلانٍ	١٨
م	
ما هذا الخنجر؟» قالت: اتَّخذته إنْ دنا مِنِّي أحد من المشركين، بقرت به بطنَه	١٨
مثل المؤمنِ تُصِيبُه المُصِيبَةُ كمَثَلِ الحديدةِ تدخل النار، فيذهب خَبَثُها	٣٧
من خافَ أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنَّ سلعةَ اللهِ غالية	٣٣
مَنْ قال: هلك النَّاسُ، فهو أهلكهم	٣٩
المؤمن للمؤمن كالبنيان، يَشُدُّ بعضه بعضًا	٥، ٢٨
و	
واللهِ لا يُخْزِيك اللهُ أبدًا	١٨
وددتُ لو أنِّي رأيتُ إخواني	٢٣
ومن جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا	٣٢
ي	
يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهوديٌّ خلفي، فتعالَ فاقتلْه	٢٤، ٤٦
يحمل هذا العلم من كلِّ خَلَفٍ عُدُولُه	٢٢
يد الله مع الجماعة	٥، ٢٧

QaradawiBooks.com

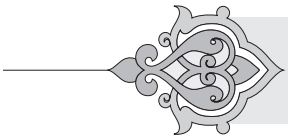

فهرس الموضوعات

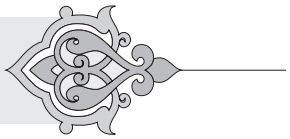

❖ **من الدستور الإلٰهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

رُوح أُمَّتنا الإسلام ٨

بعض مشكلاتنا الكبرى ١٠

قوانين النصر ١١

أول هذه القوانين: النصر من عند الله تعالى ١١

القانون الثاني: الله لا ينصرُ إلَّا مَنْ نصره ١٢

القانون الثالث: النصر لا يكون إلَّا بالمؤمنين ١٣

حاجة الإيمان إلى رعاية وحضانة ١٥

أكبر همِّ المُصلحين الإسلاميِّين ١٥

جيل من المسلمين والمسلمات ١٧

سمات هذا الجيل في القرآن والسُّنَّة ١٩

جيل يؤمن بالواقعيَّة والعلميَّة ٢٤

جيلُ عملٍ وبناء جَماعي ٢٦

جيل ربَّانِيَّة وإخلاص ٢٩

جيلٌ نَسَبُه الإسلام ٣١

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

جيل دعوة وجهاد ٣٢
غرباءُ ولكنْ يُعايشون الناس ٣٤
جيلُ قوَّةٍ وعِزَّة ٣٦
جيل توازن واعتدال ٣٨
أوَّابون توَّابون ٤٢
ذلكم هو الجيل المنشود ٤٥

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٥١**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٥٧**
- **فهرس الموضوعات ٥٩**

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية